بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

على الرغم من تعدد ووفرة البحوث فى المجالات السوسيولوجية المختلفة فان ذلك لم يكن متوافرا بالنسبة للتنظيمات العسكرية . وكان واضحا أن السوسيولوجيين قد اغفلوا دراسة هذه التنظيمات أو حتى التعرض لها فى كل جهودهم العلميه ولهذا لم تتمكن البحوث السوسيولوجيه عن التنظيمات العسكرية من تحقيق تقدم يوازى ما حققته فى ميادين اخرى كالصناعة وغيرها . ويعود ذلك الى أسباب متعددة منها ان معظم العلماء الاجتماعيين مسالمون بطبيعتهم ويريدون ان يكونوا بعيدين عن المسائل المتعلقة باستخدام القوة والعنف هذا الى جانب الاعتبارات الشخصية والاكاديمية التى تعوق تطور هذه البحوث ونظرة الاكاديميين لها على أنها خارجة عن محور الاهتمامات السوسيولوجيه .

ولا يغيب عن الذهن أن القوات المسلحه تقف عادة من الدراسات السوسيولوجية موقفا مشوبا بالحذر والنقد وتتوقف موافقتها على اجراء البحوث غير العسكرية على درجة استفادتها منها ومن المعلومات والنتائج التى تتوصل اليها ولهذا فانها تولى اهتماما متزايدا بالبحوث السيكلوجيه والطب النفسى عن اهتمامها بالبحوث السوسيولوجية . كما يقف عامل السرية والأمن عائقا اساسيا امام اجراء البحوث السوسيولوجية فى القوات المسلحة خاصة اذا كانت الدراسة تتطلب بيانات واحصاءات عن حجم وشكل وبناء التنظيم العسكرى .

وهذا الكتاب هو ثمرة احدى المحاولات السوسيولوجية لاقتحام هذا الميدان الجديد أراد منها الباحث ان تكون بمثابة تأصيل نظرى لعلم الاجتماع العسكرى وتقدم للقارىء فى نفس الوقت صورة شاملة عن بناء وديناميات ووظائف التنظيم العسكرى وآخر ما يدور فى اذهان علماء الاجتماع العسكرى

من قضايا واتجاهات سواء ما تعلق منها بالتنظيم العسكرى أو بعلاقة هذا التنظيم بالمجتمع . ولهذا فان الباحث قد حرص حرصا شديدا على أن يشرف على هذه الدراسة ويراجعها عميد الاجتماع العسكرى فى العالم وهو الدكتور موريس جانوتز Mooris Janwoitz رئيس قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو والدكتور دافيد سيجال David Segal استاذ الاجتماع السياسى والعسكرى بجامعة ميرلاند والدكتور جون بلير Gohn Blair استاذ علم اجتماع الحرب والتنظيمات الاجتماعية بنفس الجامعة .

وكان لاستعانة الباحث بنظرية النسق المفتوح Open System Theory فى تحليله اكبر الأثر فى عرض المادة العلمية بنوع من الشمول على أساس أن التحليل النسقى هو أوسع المداخل التى تساعد على دراسه وبناء تنظيم ما والعمليات التى تأخذ مكانها داخل هذا البناء .

وقد وقف الى جانب الباحث فى هذه الدراسة العديد من الاساتذة الأفاضل الذين يذكر لهم جهودهم بالعرفان والتقدير وهم الاساتذة الدكتور ابراهيم شلبى الاستاذ بجامعة هاورد والدكتور توماس كورتلس Courtles الاستاذ بجامعة جورج واشنطن والدكتور زيجنتلر Zeigentheler استاذ المناهج بالجامعه الامريكية بواشنطن والدكتور العادلى والآنسة ايلين ستيرن Elen Stern مساعدة الدكتور جانوتز والمسئولة عن نشاط علماء جماعة القوات المسلحة والمجتمع بجامعة شيكاغو وهى الجماعة التى يعتبر نشاطها وبحوثها والعلماء الذين ينتمون اليها من مختلف دول العالم حجر الزاوية فى تطور علم الاجتماع العسكرى .

وهناك استاذان فاضلان ما كان يمكن أن تخرج هذه الدراسه الى حيز الوجود دون رعايتهما الكاملة للباحث وهما الاستاذه الدكتوره حكمت ابوزيد التى ذللت للباحث كل عقبات العمل فى هذه الدراسة فى وقت كان مجرد الحديث عن التنظيم العسكرى أمراً غير مقبول والاستاذ الدكتور محمد الجوهرى الذى وقف الى جانب الباحث فى مرحلة حرجه من مراحل عمله فى هذه الدراسة وراجعها مراجعة مكثفة مركزة شامله عالج فيها العديد من أوجه القصور حتى خرجت بهذه الصورة التى هى عليها ..

الجيزة يناير ١٩٨٠ **أحمد خضر**

مقدمة

منهج البحث :

١ ــ الاطار النظرى :

يعالج الباحث موضوع دراسته فى اطار نظرية النسق المفتوح ، والنسق هو مجموعة من العناصر ذات علاقة فيما بينها ولها وظيفة محددة تؤديها فى بيئة ما (Marchalk 1971 pp. 27—41)وهو مفتوح بمعنى انه يستقبل مدخلات من البيئة ويرسل مخرجات لها ، اى يؤثر فيها ويتأثر بها (Khun, 1974, pp. 20—35).

وقد اعتبر هوارد بيكر Howard Beckerمفهوم النسق الاجتماعى اداة عقلية اساسيةفىعلمالاجتماعالحديث (Becker, 1970, pp. 211—212) واجمع ايضا كل من فرناندوكورتس Fernando Cortesوآدم فريزوزك A. Frzewosk وجون سبارجو Gohn Spargueعلى ان نظرية النسق هى الاداة العقلية لدراسة العلاقة بين بناء نسق ما ووظيفته وان هذه النظرية تمدنا بمجموعة من القواعد التى تربط وظيفة نسق ما ببناء ما والتى تربط مدخلات وتحولات ومخرجات النسق بعضها مع البعض الآخر (Cortes, 1974, p. 5)

واوضح مارشالك Marchalk أن تحليل اى تنظيم كنسق اجتماعى يعتبر افضل وسيلة لفهم بنائه وعملياته وادارته(Marchalk, p. 7) اما كاتزوخان Katz and Khanفقد اكدا أن التحليل النسقى هو اوسع المداخل التى تساعد على دراسة بناء وتنظيم ما ، والعمليات التى تأخذ مكانها داخل هذا البناء (Katz and Khan, 1966 p. 68)

لهذا فان الباحث قد رأى أن افضل معالجة تحليلية للتنظيم العسكرى الذى هو موضوع دراسته . انما يتم من خلال تحليله اياه كنسق اجتماعى يتكون من انشطة محددة لعدد من الأفراد ، فالتنظيمات ما هى الا انساق

اجتماعية أو نوع منها لاحتوائها على ما يعرف بابنية الصيانة : Maintainance Structure والأبنية الأنتاجيـــة Production Structures والقواعد الرسمية المحددة وبناء السلطة المحدد والنسق القيمى المدعم لبناء الســـلطة .

هذا وقد صمم الباحث لنفسه نموذجا تحليليا ـــ كما هو موضح بالرسم يعتمد على المرتكزات الآتية :

١ ـــ لم يركز الباحث فى تحليله على نسق عسكرى معين وانما نظر الى الانساق العسكرية فى عموميتها آخذا بوجهة نظر سبندلر Spindler من ان النسق العسكرى هو احد وحدات المجتمع وانه انعكاس للقيم والانماط الثقافية .. ورغم هذا فانه يمكن استخدام انماط العلاقات الاجتماعية والتنظيم المتطور فى ظـــل ظروف عامة كعموميـــات .. فالجماعة هى الشكل الاســـاسى لكل العلاقـــات الاجتماعية فى كل الانســـاق العســـكرية ..... والبيروقراطية هى النموذج الذى تدار كل الانساق وفقا لاسسها . .(Spindler, 1948, pp. 83-88)

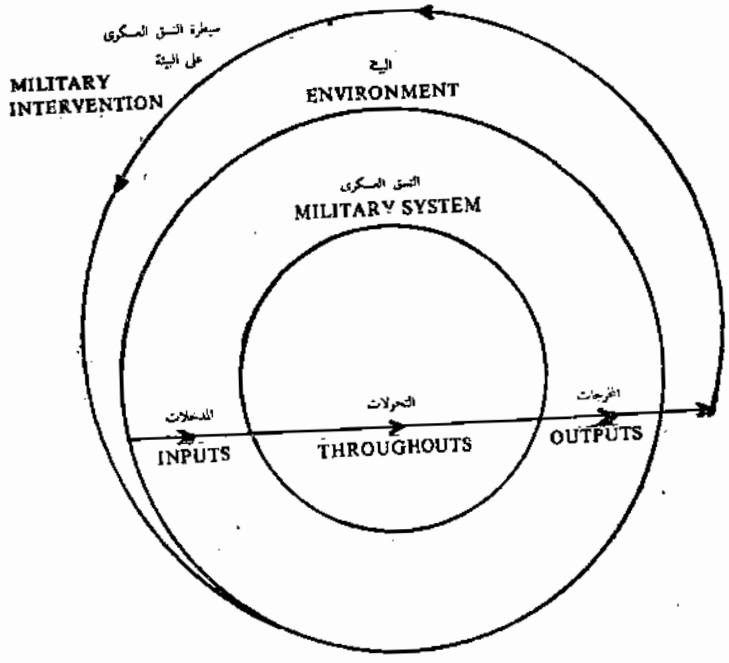

النموذج التحليلى كما تصوره الباحث

٢ — يبدأ الباحث فى تحليله للنسق العسكرى بتحليل بنائه وبتعيين ما يسمى الحدود التنظيمية System Boundaries وهى انواع الحواجز التى تفصل بين النسق والبيئة والتى تكون بمثابة الخطوط المحددة للتعرف المناسب لانشطة النسق ولقبول الاعضاء فيه وكل ما يحصل عليه النسق من بيئته وكثيرا ما تعتبر هذه الحدود حاجزا للتفاعل بين من بداخل النسق ومن هم بخارجه .

وقد عالج الباحث هذه النقطة فى الفصل الثالث من الكتاب وذلك من خلال عده متغيرات كالامتثال عند اتزيونى Etzioni ومتغير السلطة عند بيبودى Peabody ومتغير الضوابط الاولية عند جروس Gross وكذلك من خلال علاقة التنكولوجيا العسكرية بضيق الاختلافات المدنية العسكرية

٣ — بعد هذا يحلل الباحث النسق العسكرى كنسق بيروقراطى ، فماكس فيبر Max Weber ويراها كاتزوخان من أوضح الامثلة للنسق (Dssitter, 1972, p. 78) ويراها كاتزوخان من اوضح الأمثلة للنسق الاجتماعى من حيث انها ترسم ادوارا رسمية فى حدود تخصص وظيفى والنسق العسكرى عند فيبر نفسه هو الشكل المتطور والغائى للبيروقراطية (Miewald, 1970, p. 78) وقد خصص الباحث الفصل الرابع لتحليل بيروقراطية النسق العسكرى .

٤ — يحلل الباحث بعد هذا بناء السلطة فى النسق العسكرى . والانساق كما يقول كاتزوخان ليست تسلطية بطبيعتها ولكنها يجب ان تملك شكلا ثابتا ومحددا من وسائل صنع القرار حول القضايا التنظيمية .

ويصف بناء السلطة اساسا الطرق التى يدار بها النسق باسلوب منظم فى حدود مصادر صنع القرار وكيفية انجازه ويتميز بناء السلطة بربطه أفراد النسق به وليس بانماط السيادة والتبعية لشخصيات الافراد المضطلعين بها .

والمطلب الاساسى لبناء السلطة العسكرية هو ذلك التوجيه الموحد

للكتائب فى المعركة ، ومن هنا فان القدرة على الوصول الى قرارات سريعة تحت الضغط الخارجى تعتبر امرا جوهريا ، ويكون التدرج الهرمى وليست المساواة اساسا للوحدة فى ميدان المعركة ... وقد خصص الباحث الفصل الخامس لتحليل بناء السلطة والتسلسل الرئاسى فى النسق العسكرى محاولا من خلاله التحقق من صحة الفرض السابق .

٥ ــ يعتمد النسق فى استمراره وبقائه على ما يتحصل عليه من البيئه من امدادات وافراد ومواد .. فهو ليس مكتفيا ذاتيا ولا يعتمد على نفسه فقط وكل ما يتحصل عليه النسق من البيئة يسمى بالمدخلات Inputs وهى علاقة بين النسق والبيئة وتعرف بانها عامل بيئى او هى كل ما يدخل الى عمليات النسق (Umbach, 1972, p. 97) والنسق العسكرى كنسق اجتماعى يحتاج الى مدخلات لصيانته والحفاظ عليه والتى تسمى بمدخلات صيانة النسق Mintainance Inputs وهى التى تعرف بالطاقات التى يستوردها النسق من البيئة والتى تعمل على صيانته وتدعيمه .. وقد تناولها الباحث فى تحليله للانفاق العسكرى فى النسق العسكرى . اما النوع الثانى من المدخلات فهو ما يسمى بالمدخلات الانتاجية Production Inputs وهى كل مـــا يستورده النسق من البيئة ويؤدى عمله فى النسق لضمان العـــائد الانتاجى وقد حلل الباحث هذا النوع من المدخلات تفصيلا فى معالجته لمصادر القوة البشرية فى النسق العسكرى . ويرى كاتزوخان ان هناك عاملا مهما آخر يغفله التحليل السوسيولوجى كثيرا سواء على المستوى العلمى او المستوى العملى وهو الدوافع التى تجذب الافراد للنسق الاجتماعى وتجعلهم يؤدون وظائفهم بداخله ، لهذا فان الباحث قد عالج فى الجزء الثالث من تحليله لمدخلات النسق العسكرى دوافع التحاق الافراد به .

وقد عكس التحليل الأولى للارقام الاحصائية للانفاق العالمى على القوات المسلحة زيادة هذا الانفاق من ١١٩ بليون دولار فى عـــام ١٩٦١ الى ٢١٦ بليون دولار فى عام ١٩٧١ وان ثلث هذه الزيادة

كان فى القـــوة البشرية والأفراد وكان الثلثين الباقيين فى البحوث العسكرية وتطوير المعـــدات والامداد العـــام . ونظرا لأن نمـــو التكنولوجيا يكون مقترنا بالدولة المتقدمة وخاصة اذا كان مرتبطا بنمو القدرة النووية فيهـــا مما يتطلب الانفاق المتزايد لاســـتغلال الامكانيات العسكرية .

٦ ــ يتوم النسق الاجتماعى بعد تحصله على المدخلات من البيئة بتحويلها وهو ما يعرف بالعملية التحويلية Throughputs ويتم ذلك من خلال انشـــطة معينـــة يطلق عليهـــا الانشطة الانتاجية Production Activities وتعتبر هذه العملية من الوظـــائف الأساسية للنسق وخاصـــــة لأن التنظيمات تصنف عـــادة تبعا للعمليـــة الانتاجية الاساسية الخاصة بها وقد عالج الباحث هذه التحولات من خـــلال انشطة التجنيد والانتقاء والتدريب وهى الانشطة التى يتم من خلالها تحويل مدخلات النسق العسكرى من القوة البشرية وتمثيل افرادها ادوارهم الجديدة . وقد عالج الباحث هذا الجزء فى الفصل السابع من الكتاب .

٧ ــ ينمى كل تنظيم ثقافته الخاصة أو مناخه الخاص به ومحرماته وطرائقه واعرافه . ويعكس مناخ أو ثقافة النسق كل قيم ومعايير النسق الرسمى واعادة تفسيرها فى ضوء النسق غير الرسمى وهو الذى يعرف بتلك الأبنية المؤسسة بدقة . ورغم ذلك يفتقد النسق غير الرسمى هذه الأبنية المتخصصـــة التى تعتبر من ســـمات التنظيم الرسمى ويعكس هذا المناخ ايضا الصراعات الداخلية وانواع الافراد الذين يجذبهم النسق وكيف يجرى العمل بداخله . وكما ان للمجتمع ارثه الثقافى فان النسق الأجتماعى يملك ايضا انماطـــا محددة من المشاعر والمعتقدات الجمعية التى ينقلها لأعضـــاء الجماعة الجدد ويمد النسق من خلال هذه الثقافة افراده باطار مرجعى يفسرون من خلاله الأنشطة والأحداث التى يمرون بها ولا يكونون قادرين عادة على التعبير شفهيا عن أى نمط من أنماط هذا الاطـــار المرجعى .

وقد يكونون واضحين عادة فى الأحكام التى يصدرونها لكنهم لا يكونون كذلك بالنسبة للمستويات والأطر الاساسية التى تعمل للوصـــول الى هذا الحكم . وقد عالج الباحث هذه النقطة تفصيلا فى كل من منظورها الاجتماعى والنفسى فى الفصل الثامن من الكتاب .

٨ ــ يرى سبندلر أن الجماعة هى احد انماط العلاقات الأجتماعية التى تظهر حينما يدخل شخصان او اكثر فى تفاعل مشترك . وتكمن الصفة الاساسية للجماعة فى وحدتها من خلال مشاعر التضامن الاجتماعى وهى بهذا ظاهرة اجتماعية لها صفة العمومية . ويتشكل مثل هذا النوع من النسق العسكرى فى صورة الكتيبة او السرية او الفصيلة او ادنى من ذلك بصورة تسمح بالتفاعل وجها لوجه ويتيح هذا التفاعل اعتمادا متبادلا وسلوكا واتجاهات متوافقة وتسـود بين افراده مشـاعر النحنية We-ness وقد حلل الباحث الجماعة العسكرية باعتبارها ابسط انساق التنظيم العسكرى وعلى اساس ان دراستها تعتبر خطوة اولية وهامة فى الدراسة المنظمة للتنظيم الاجتماعى .

٩ ــ يلزم لاستكمال تحليل النسق العسكرى كنسق اجتماعى تحليـــل مخرجاته Outputs وقد استعان الباحث فى تحليل هذه المخرجات بتعريف اومباش لها ,Umpach من حيث انهـا ناتج العلاقات بين التغير فى البناء الداخلى للنسق والتغير فى البيئة (Umbach, p. 121) وقصر تحليله لها على بعض العناصر التى لم يتعرض لها التحليـل السوسيولوجى طويلا مثل مجتمع العسكريين وعائلاتهم والترقى فى السياق المهنى واتجاهات الرأى العام نحو النسق العسكرى .

١٠ ــ يتيح دراسة التنظيم كنسق اجتماعى دراسة العلاقات بينه وبين بيئته (Weissinberg, 1971, p. 502) والأنساق الأجتماعية كأنساق مفتوحة تعتمد على انساق اخرى واعتبارها انساقافرعيةاوانساقافوقية انما يعتمد على درجة ذاتيتها واستقلالها فى تنفيذ وظائفها . ومن وجهة النظر المجتمعية نجد ان التنظيم هو نسق فرعى لنسق أكبر ، كما أن صلته وتكامله بهـذا النسق يعكس نوع عملياته ومستوى

انشطته . ومن منظور وظيفة النسق تعالج العلاقة بين النسق والبيئة فى اطار ما يسمى بالوظيفة الخارجية Extrinsic function وهى ما يقوم به النسق من أعمال تؤثر على الانساق الأخرى التى هو على علاقة بها ولعل اهمها هو الدور الذى يلعبه التنظيم كنسق فرعى فى المجتمع الأكبر (Katz & Khan, pp. 59—62) وقد عالج الباحث علاقة النسق العسكرى بالمجتمع الأكبر فى الفصول الثلاثة الأخيرة .

٣ ــ نوع وأدوات البحث :

نهج الباحث فى دراسته نهجا وصفيا نظريا يقوم على أساس المقارنة الثقافية Cross-Cultural فالدراسة الوصفية هى الخطوة الأولى لبناء النظرية والبحوث النظرية هى طريقة لتنظيم المشاكل وتحليل الحقائق بغرض الوصول الى مبادىء عامة يمكن تطبيقها على المشاكل الجوهرية وتعنى المقارنة الثقافية دراسة الوحدات الاجتماعية التى تختلف عن بعضها البعض فى قيمتها وانماطها السلوكية بغرض الوقوف على الخصائص العامة لهذه الوحدات التى تجمعها فى أبنية متميزة بالرغم من اختلاف الثقافات التى ينتمى اليها (Grimshow, 1973, p. 13) ولهذا فان الباحث لم يدرس نسقا عسكريا بعينه ، وانما درس النسق العسكرى فى عموميته فى دول القارة الافريقية والآسيوية وفى دول أوربا الغربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ودول أمريكا اللاتينية وقد مكنته هذه الدراسة من الاستفادة من معظم الدراسات التى تعالج علاقة النسق العسكرى بالانساق الأخرى فى المجتمع والتى اعتمدت أساسا على تحليل هذه العلاقات فى دول العالم المختلفة . كما مكنته من تحليل البيانات الخاصة بالقوة البشرية وبالانفاق العسكرى العالمى .

وقد استعان الباحث فى دراسته بالتراث العلمى فى المؤلفات التى تعرضت لموضوع بحثه والتى اعتبرها دارسوا المناهج ميدانا معترفا به فى البحث الاجتماعى (Furfey, 1975, p. 462) كما اعتمد ايضا على التحليل الاحصائى الوصفى للبيانات الاحصائية .

ويعنى هذا ان الباحث قـد عمل على تبسيط وتحليل البيانات الرقمية التى توافرت لديه عن الاتساق العسكرى فى العالم والكشف عن مدلولها دون الاعتماد على مقاييس معدلات الارتباط او الانحراف او ما شابه ذلك مستهدفا بذلك عرض الاتجاهات البارزة التى تعنيها هذه الأرقام الاحصائية.

وقـد استغل الباحث فى معالجته لموضوع دراسته خبرته الشخصية التى اقتربت من حوالى السبع سنوات التى قضاها فى القـوات المسلحة المصرية اذ قـد مر الباحث بالمراحل المختلفة التى يمر بهـا الفرد المدنى حتى يصبح فردا عسكريا بدءا من مرحلة الاستقبال فالتدريب الأساسى فالتدريب المتقدم فالوحدات القتالية ، كما عمل الباحث ايضا فى الوحدات الادارية والقيادات العامة وقيادات الفرق وفروع البحوث المعنوية والخدمة الاجتماعية وكانت الملاحظات المختلفة التى جمعها الباحث عبر هذه المراحل الأساس فى جمع المادة العلمية لدراسته ويمكن ملاحظة ذلك بوجه خاص فى الفصل السابع من الـكتاب الخاص بالتحولات فى النسق العسـكرى اذ تعرض الباحث لكيفية تمثيل الأدوار العسكرية خـلال مراحـل التجنيد والانتقاء والتدريب . كما ساعده تعامله مع ضباط الصف واحتكاكه مع الضـباط العاملين والاحتياط والفئات الأخرى التى عمل معها على تحليل عمليه تمثل الأدوار العسكرية عند الجميع .

وكان انضمام الباحث للجماعات العسكرية فى السرايا والكتائب التى خدم بها عاملا مكنه من تحليل الانماط السـلوكية التى تصدر عن هـذه الجماعات . وقـد عايش الباحث مختلف الظروف التى مرت بها هـذه الجماعات سواء أكانت ظروفا عادية او تدريبية أو قتالية . وقـد حاول بالرغم من ظروف الحرب وما تتطلبه من أمن عسكرى أن يستفيد من هذه الظروف اما فى شكل مؤشرات لجمع المادة العلمية او فى شكل دراسات فعلية كان يحاول القيام بهـا .

وقد ركز الباحث على تحليل عملية صراع الأدوار العسكرية والمدنية لدى الجنود على اعتبار أنها كانت من الأمور الشائع ملاحظتها بينهم . وذلك من خلال معايشته اليومية لهم فى السرايا التى خدم بها ، وبوضعهم فى مواقف حياتية صناعية ثم قام بقياس ردود فعلهم حينما تكون هذه المواقف فعلية

وقـــد قام الباحث بمقارنة هذه العملية عند الجنود المصريين بمثيلتها عند الجنود الأمريكيين وذلك من خلال تحليل الدكتور جون بلير لها معتمدا على أداة منهجية هى التحليلات الثانوية Secondry Analyses وهى التى اشار الدكتور زيجنثلر استاذ المناهج بالجامعة الأمريكية بواشنطن على الباحث باستخدامها وهى تعنى أن يقوم الباحث بعرض مادته العلمية المتوفرة فى موضـــوع معين على اساتذه متخصـــصين فى نفس الموضـــوع بغرض تحليل وتبادل وجهات النظر حولها . وقـــد عالج الباحث هذه النقطة بشىء من التفصيل فى الفصل السابع أيضا .

وقـــد وافقت القيادة العامة للقوات المسلحة السودانية للباحث فى مارس ١٩٧٦ على اجـــراء مقابلتين محددتين مع عينة متعمدة من ضـــباط وطيارى قاعدتين جويتين سودانيتين هما قاعدة : الخرطوم الجوية ، وقاعدة وادى سيدنا . وقـــد قام الباحث فى اللقائين اللذين اجراهما باختبار بعض فروض الدكتور جانوتز وحلل البيانات التى حصل عليها فى اطار وصفى محدود واشار اليها فى مكانها من الكتاب فى كل من الفصل الأول والخامس وقـــد راجع الباحث هذه البيانات مع الدكتور جانوتز بشيكاغو .

كما استخدم دراسة الحالة فى محاولة للجمع المنظم للمعلومات الفردية على اساس انها وسيلة تمكن من فهم أداء المجتمع لوظيفته وفهم الحيـــاة الكلية المجتمعية للشخص موضع الدراسة وفهم خلفيته والدوافع التى تحكم سلوكه . وكان الغرض من هذه الدراسة الكشف عن الاتجاهات والعواطف اكثر من اى شىء آخر . وعلى اعتبار أن اصحابها يمثلون جماعة خاصة من افراد مجتمع البحث .